

رمزية الجزائر في خطاب قادة التحرير ضد الاستعمار نيلسون مانديلا و فرانتز فانون أنموذجا

Algeria is a symbol in the discourse of libération leaders against
colonialisme, Nelson Mandela and Frantz Fanon as an Example



أ.د عبد الكامل عطية *

جامعة الوادي

attia-abdelkamel@univ-eloued.dz

ط.د. حياة شيباني

جامعة الوادي

hayat-chibani@univ-eloued.dz

محرر بحث التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر



تاريخ الاستلام: 2025/09/08 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16

ملخص:

تُسهّم هذه الورقة البحثية في إبراز دور الجزائر الريادي في دعم حركات التحرير حول العالم، وخاصةً في أفريقيا، وتشجيع دولها على تحقيق سيادتها ومساندتها في إدارة شؤونها، وذلك تماشيًا مع مبادئ الأول من نوفمبر وما نتج عنه من دعم لمبادرات تقرير المصير للدول المستعمرة. وقد لعبت الجزائر دورًا بارزًا في دعم حركات التحرير الأفريقية بعد استقلالها عام 1962، حيث فتحت أراضيها لاحتضان الحركات الأفريقية، ووفرت التدريب العسكري والدعم السياسي والدبلوماسي لقادة وزعماء التحرير. واعتُبرت الجزائر عاصمةً للشوار في القارة، واكتسبت مكانةً معنويةً ورمزيةً لدى شعبها.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ التحرير؛ خطابات؛ الاستعمار؛ نيلسون؛ فانون؛ كرمز.

Abstract:

This research paper contributes to highlighting Algeria's pioneering role in supporting liberation movements around the world, especially in Africa, and encouraging its countries to achieve sovereignty and supporting them in the conduct of their affairs. This is in accordance with the principles of November 1st and the resulting support for self-determination initiatives for colonized countries. Algeria played a prominent role in supporting African liberation movements after its independence in 1962, as it opened its territories to embrace African movements and provided military training and political and diplomatic support to leaders and liberation leaders. Algeria was considered the capital of revolutionaries on the continent and gained a moral and symbolic status among its people.

key words: Algeria; libération; discourse; colonialisme; Nelson; Fanon ; Example.

مقدمة:

شكل الكفاح الجزائري التحرري ضد الاستعمار الفرنسي إحدى أكثر الثورات إلهامًا في قارة إفريقيا المناهضة للإمبريالية خلال القرن العشرين. وكان هذا النضال جزءًا من موجة إنهاء الاستعمار التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية في آسيا والعديد من البلدان الأخرى في إفريقيا. وقد انسجمت الثورة مع روح "مؤتمر باندونغ" وعصر صحوة دول الجنوب التي كانت خاضعة للهيمنة الإمبريالية بأشكالها المختلفة. أدرك أحرار العالم حقيقة الثورة الجزائرية وقيمتها، والتي لم يكن هدفها تحرير الوطن من الاحتلال الفرنسي فحسب، بل تحرير جميع الشعوب التي ترزح تحت ظلم الاستعمار الغربي وهيمنته. لذا، أُطلقت عليها تسميات تاريخية خالدة، ورددها قادة وزعماء التحرر في العالم في خطاباتهم وتجمعاتهم المناهضة للاستعمار الأوروبي.

لقد كان للجزائر دور ريادي في دعم حركات التحرر في كل من آسيا وإفريقيا، وتشجيع دولها على تحقيق السيادة ومساندتها في تسيير شؤونها، وذلك وفقًا لمبادئ أول نوفمبر وما انبثق عنها من دعم لمبادرات حق تقرير المصير للدول المستعمرة.¹

لعبت الجزائر دورًا بارزًا في دعم حركات التحرر الإفريقية بعد استقلالها عام 1962؛ إذ فتحت أراضيها لاحتضان هذه الحركات، ووفرت لها التدريب والدعم السياسي والدبلوماسي. وقد اكتسبت الجزائر لقب "عاصمة الثورات" في القارة، وحظيت بمكانة أخلاقية ورمزية مرموقة بين شعوبها.²

بعد احتلال الجزائر، عمدت القوى الاستعمارية، وعلى رأسها فرنسا، إلى اتباع سياسات تهدف إلى ترسيخ وجودها إلى الأبد، معتقدة أنها ستقضي على روح المقاومة وتستسلم الجزائر. لكن خابت آمالها بعد اصطدامها بمقاومة شرسة تجسدت في المقاومات الشعبية المسلحة، وثورة تحريرية كبرى خلصت البلاد من هذا المستعمر الغاشم. ولعل أبرز الدعائم والسياسات التي جربتها في العديد من الأقطار الإفريقية، وأوضحها في الجزائر، هي:

- **سياسة الإدماج** : وهي تعني تحويل الفرد الجزائري إلى شبيه بالفرد الفرنسي عبر طمس هويته وشخصيته وإنكار قيمتهما واستبدالهما بالثقافة الفرنسية الغربية.³

- **سياسة التجنيس**: في 14 جويلية 1865 أصدر نابليون الثالث المرسوم المشيخي المتعلق بحالة الأشخاص والتجنيس في الجزائر، ويطلق عليه بمرسوم التجنيس ويعرف لدى عامة الناس بقانون سيناتيس-كونسيلت . *Consulte Senatus* - وقبل هذا التاريخ لم تكن "لأنديجان"⁴ . الجزائر الجنسية (الصفة) الفرنسية بشكل صريح ورسمي، ولم يسمح لهم أي إجراء بالحصول عليها. ويرى الباحثون الفرنسيون أنّ هذا المرسوم يمثل الإجراء الأكثر ليبرالية من بين التشريعات الكولونيالية، كما أنه حدد جزءا من الإطار الذي سيكون عليه القانون الكولونيالي الفرنسي في هذا المجال⁵ . وحسب ما ورد في هذا القانون فإنّ الاعتراف بالصفة الفرنسية لمسلمي الجزائر صريح وبشكل جماعي، وأنهم تحت حماية فرنسا في أي بلد وجدوا⁶ إلا أنه لم تعترف لهم بصفة المواطنة الحقة⁷ .

- **سياسة القضاء على الدين الإسلامي**: اتّبع الاحتلال الفرنسي في سياسته الدينية نهجًا صليبيًا يهدف إلى القضاء على الهوية الدينية للمجتمع الجزائري. وقد استهدفت هذه

السياسة المساجد والجوامع والزوايا والأضرحة، إلى جانب تحريف القضاء الإسلامي والاستحواذ على الأوقاف الإسلامية، بالإضافة إلى سياسة التبشير. شملت الأوامر الصادرة للجيش الفرنسي هدم هذه المؤسسات الدينية، وتحويل بعضها إلى كنائس وكاتدرائيات وإسطبلات للخيول ومستودعات عسكرية. وقد تجسد ذلك بوضوح في الجزائر العاصمة عند احتلالها عام 1830، حيث تلقت ضربة قوية من إدارة الاحتلال، التي أغلقت ثلاثة عشر مسجداً كبيراً ومائة وثمانين مسجداً صغيراً، واثنين وثلاثين جامعاً، واثنين عشرة زاوية. استمرت عملية تقليص هذه المؤسسات الدينية حتى عام 1892، حيث لم يتبق سوى أربعة مساجد كبيرة وثمانية مساجد صغيرة وتسعة جوامع.⁸

كما أن سياسة التمددين أوهمت الجزائريين بأنها جاءت لتخليصهم من التخلف ونقلهم إلى عالم الحضارة والمدنية، وتحقيق الارتقاء الحضاري على الطراز الغربي. وبالإضافة إلى غيرها من السياسات الرامية إلى السيطرة على الجزائر وبلدان القارة الإفريقية، ورغم أن الهدف والأداة واحدة، إلا أن السياسة والإستراتيجية اختلفتا من قطر إلى آخر. كل هذه السياسات كانت أرضية خصبة لمناهضة المشروع الإمبريالي واتخاذ كل الطرق والأساليب من أجل إنهائه وإعادة السيادة والكرامة والحرية لأصحاب الأرض.

لقد أقر قادة الجزائر بذلك، حيث ذكر الرئيس هواري بومدين أن فرنسا لن تتخلى عن أطماعها في أفريقيا، وأنها تسعى للإبقاء على الأفارقة الفرانكفونيين كوجه آخر للاستعمار والتبعية. وهذا يتطلب من الجزائر أن تكون رمزاً مستمراً وملهماً للمقاومة والحرية، واحتضان حركات التحرر. وبذلك، فإن الجزائر مستهدفة بحملة فرنسية لإعاقة تطورها ودورها الريادي في المنطقة. ومما قاله في هذا الصدد: "فرنسا الرسمية لم تتخل بعد عن أطماعها في أفريقيا، وخاصة مناطق النفوذ، وفرنسا لم تتخل في منطقة شمال أفريقيا عن إستراتيجية المصالح، هذا هو الواقع وهذا هو الجوهر، فرنسا لم تنس استعمارها ويحز في

نفسها أن ترى الشعب الجزائري يبني نفسه، هناك من يدفع المال وفرنسا لا تزال تدفع السلاح".⁹.

1-الصياغ التاريخي لنشأة حركات التحرير في افريقيا:

يمكن تعريف حركات التحرر ببساطة ووضوح بأنها منظمات شعبية تهدف إلى تحرير شعوبها وأوطانها من الوجود العسكري الأجنبي على أراضيها. وتمثل هذه الحركات وأعمالها المسلحة تهديداً لهذا الوجود الأجنبي ولسيطرته واستغلاله للشعوب.¹⁰.

ويطلق عليها كذلك بأنهم مجموعة من المقاتلين يقومون بإدارة الحرب في ظروف مختلفة عن الظروف المعتادة للحرب، وخلف خطوط العدو، وفي عزلة عن قواتهم الأساسية، والتي يطلق عليها عادة اصطلاح "غوريلا"¹¹، تتمثل هذه الاستراتيجية في القتال والانسحاب من مواقع العدو، وتتميز بالتحرك الخاطف ومهاجمة المعسكرات المنعزلة مع الحرص على تجنب الأسر، بالإضافة إلى اعتماد أسلوب حرب العصابات أو المجموعات الصغيرة لإلحاق أكبر الخسائر بالعدو.¹².

ساهمت التغيرات التي طرأت على الساحة الدولية في مطلع العشرينيات من القرن الماضي بشكل ملحوظ في ظهور حركات التحرر بين شعوب المستعمرات، وتطورت هذه الحركات بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الثانية، حيث دخلت حركات التحرر في إفريقيا وآسيا مرحلة حاسمة من تاريخها باستقلال واحد وعشرين دولة، على الرغم من عنف النظام الاستعماري.¹³.

ساهمت عدة ظروف في ظهور هذه الحركات في أنحاء مختلفة من القارة الأفريقية، تتجسد في بروز النقابات ودورها في العمل السياسي والحركة الوطنية. تعود بدايات هذه النقابات إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، عقب الإضرابات التي قادها العمال في جنوب أفريقيا بين عامي 1919 و 1920، والتي تعتبر الانطلاقة الحقيقية للعمل النقابي. أما في غرب إفريقيا، فقد بدأت بوادر العمل النقابي قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية، وتحديدًا في عام

1940. ¹⁴. ومع نمو الوعي الوطني والقومي، نتيجة لانتشار وسائل الإعلام المختلفة، بدأت الأفكار التحررية الداعية إلى مقاومة الاستغلال والمطالبة بالعدالة والمساواة تنتشر على نطاق واسع. ونتيجة لذلك، أخذت شعوب المستعمرات تشعر بوطأة الاستعمار وأخطاره على مستقبل بلادها، وبدأت تتحرك لنيل حريتها واستقلالها. بالإضافة إلى ذلك، ساهمت مشاركة شباب المستعمرات في الحربين العالميتين الأولى والثانية، اللتين لم يكن لهما فيهما مصلحة، في تعزيز هذا الوعي. فخلال الحرب العالمية الأولى، جندت فرنسا ما يقارب 177,800 جزائري، كما سخرت 758,000 آخرين لمجهودها الحربي في المصانع والمناجم والموانئ. وبالمثل، خلال الحرب العالمية الثانية، جعلت فرنسا من الجزائر خزاناً للموارد المادية والبشرية. ¹⁵.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة دول المحور، خرجت الدول الاستعمارية من الحرب منهكة القوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً. ونتيجة لذلك، لم تعد قادرة على مواجهة ثورات الشعوب المستعمرة، وخاصة فرنسا. وقد كان لدعم الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية للشعوب المستعمرة دور بارز في حصولها على الحرية والاستقلال، خاصة وأن الدعم كان في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية. وقد قال ستالين: "إن ثورة أكتوبر قد أرست أسس الاتصال والتقارب بين الغرب الاشتراكي والشرق المستعبد، مما يفتح جبهة للثورات تمتد من الطبقات الكادحة في الغرب، مروراً بطريق الثورة الروسية، وصولاً إلى الشعوب المضطهدة في الشرق..." ويرى ديوب أن شعار ستالين هذا ينطبق على أفريقيا، ويستشهد أيضاً بماو تسي تونغ حيث قال: "إذا رفضنا المعونة السوفيتية، انخرمت الثورة." ¹⁶.

وقد أعرب عن ذلك أكاديمي روسي يدعى إي. إم. مايسكي في رسالة أرسلها إلى خروتشوف، حيث قال: "إن المرحلة التالية من النضال من أجل تفوق الاشتراكية في

العالم ستمر بتحرير الشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة من الاستغلال الاستعماري في آسيا وإفريقيا".¹⁷.

في أواخر الأربعينيات، وتحت ضغط الدول حديثة الاستقلال والدول التي عانت من الخضوع للقوى الاستعمارية، ظهرت هيئة الأمم المتحدة. وقد جاء في ديباجة الميثاق أن مؤسسي المنظمة عزموا على تجنب الأجيال المقبلة ويلات الحرب. وتحقيقاً لذلك، تملك الأمم المتحدة، وفقاً للفقرة الأولى من المادة الأولى، "اتخاذ التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم وإزالتها، وقمع أعمال العدوان وغيرها من وجوه الإخلال بالسلم، والتدبر بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية التي قد تؤدي إلى الإخلال بالسلم أو لتسويتها".¹⁸.

ينص ميثاق الأمم المتحدة أيضاً على أن "يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة، إسهاماً في حفظ السلم والأمن الدوليين، بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن، بناءً على طلبه، ووفقاً لاتفاق أو اتفاقات خاصة، ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدوليين".¹⁹.

لقد شكّل كل من المناضل نيلسون مانديلا وفرانز فانون نموذجاً للتحدي ورمزاً للمقاومة المشروعة ضد القوى الإمبريالية. وقد كانت الجزائر حاضرة بقوة في مسار الزعيمين والمناضلين، سواء من خلال أفكارهما وأسلوبهما في المقاومة، أو في خطاباتهما أمام الجماهير وفي المنابر الإعلامية المتنوعة. إلى أي مدى تجلّت الجزائر وحضرت كرمز في مسارهما النضالي؟

2-حضور الجزائر في خطاب نيلسون مانديلا:

أ- دلالات الخطاب:

بدايةً، يمكننا إلقاء نظرة سريعة على مفهوم الخطاب ودلالته. لقد ابتكر "هاريس" مصطلح الخطاب وعرفه بأنه: "منهج في البحث في أي مادة تتكون من عناصر متميزة

ومترابطة في امتداد طولي، سواء أكانت لغة أم شيئاً شبيهاً باللغة، ويشتمل على أكثر من جملة أولية. إنها بنية شاملة تشخص الخطاب في جملة أو أجزاء كبيرة منه".

يعرف الدكتور سعد مطر عبود الزبيدي الخطاب السياسي بأنه منظومة أفكار تكونت عبر تراكم معرفي، نابع من استقراء الواقع بمختلف مكوناته الثقافية والاجتماعية والنفسية، وتتمركز حول أنساق إيديولوجية مستمدة من التصورات السياسية المنبثقة من التراث أو الحداثة. وتختلف هذه التصورات في آلياتها ونظمها حسب مستوى النضج الفكري والوعي بمتطلبات المجتمع، ومدى ارتباطها بمستوى الأداء الحركي في عملية التغيير والتنمية والحضور الوجودي²⁰.

يرى أرسطو أن الخطاب السياسي يقوم على ركائز ثلاث هي : أخلاقيات المجتمع (ethos)، محاكاة المشاعر الشعبية (pathos)، والمنطق (logos)، وهو ما يعني التشابك المهرق بين المنطق وقواعد اللغة وبين الصورة التي تركبها الاستعارات اللفظية (metaphor) والمجاز (metonymy) والجناس (analogy) في بنية الخطاب، وتنقسم عناصر الخطاب السياسي إلى عنصرين أساسيين وهما: (المتحدث أو المرسل والخطاب السياسي)²¹.

ب- نيلسون مانديلا وعلاقته بالجزائر:

1- نيلسون مانديلا النشأة والتكوين:

ولد مانديلا عام 1918 في قرية نائية. كان اسمه "روليهلاهلا"، ويعني "المشاكس" أو "مثير المتاعب". ولأن معلمته في المدرسة الابتدائية لم تتمكن من لفظ اسمه، فقد أطلقت عليه اسم "مانديلا". كرس حياته مبكراً للنضال من أجل المساواة السياسية والقانونية لشعبه. عُرف بقدرته على التخفي وقاد على مدار عشرين عاماً نشاطات سلمية تهدف إلى الوقوف في وجه سياسات القمع الحكومية. وحين أدرك فشل تلك النشاطات، تبنى الحل العسكري بوصفه السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه. كان والده مستشاراً لزعماء

القبائل، وكان من المتوقع أن يصبح زعيمًا، لكن خلافًا مع الحاكم المحلي التابع للحكومة البيضاء جرده من لقبه و ثروته، فانتقلت العائلة إلى قرية صغيرة وعاشت في أكواخ صغيرة معتمدة على المحاصيل المحلية. توفي والده وهو في عمر التاسعة، وتولى رعايته أحد أفراد الأسرة الحاكمة لقبيلة ثيمبو ليعيش في مقر إقامته. تعرف على زعماء القبائل الذين كانوا يقدون إلى القصر الكبير في المناسبات الرسمية، واستمع إلى أحاديثهم التي تحكي قصصًا عن كيف عاش الأفارقة بسلام وأخوة قبل أن يأتي البيض.²²

التحق بالجامعة عام 1939 وركز على دراسة القانون الهولندي الروماني. انتخب عضوًا في مجلس الطلبة، وحصل على شهادة المحاماة، ثم انخرط في الحركات المناهضة للفصل العنصري لينضم إلى حزب المؤتمر الوطني الأفريقي عام 1942. وفي عام 1949، اعتمد الحزب التظاهرات والإضراب والعصيان المدني والمقاطعة لتحقيق أهدافه بتمتع السود بالمواطنة الكاملة. اعتُقل مع 150 ناشطًا عام 1962 بتهمة التآمر لقلب نظام الدولة والخيانة العظمى. أُطلق سراحه في عام 1990، وفي عام 1993 حاز مانديلا وكليكرك على جائزة نوبل للسلام لعملهما المشترك على إنهاء نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. وفي 27 أبريل 1994، انتُخب مانديلا ليكون أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا، ورفض الترشح لولاية ثانية ليُفوزَ بالرئاسة نائبه.²³

في مطلع عام 1961، طرأ تحول على رؤية مانديلا، وتبنى قناعة أن الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة لإحداث التغيير المنشود. فشارك مع مناضلين آخرين في تأسيس الجناح المسلح لحزب المؤتمر الأفريقي، المعروف باسم "أومكونتو وي سيزوي". وفي العام نفسه، قاد مانديلا إضرابًا عماليًا استمر ثلاثة أيام، فاعتقلته السلطات وحكمت عليه بالسجن لمدة خمس سنوات. وفي عام 1963، أعيدت محاكمته وحكم عليه بالسجن المؤبد.²⁴

2- علاقة مانديلا بالجزائر:

تلقى الزعيم مانديلا تدريبه العسكري الأولي على يد ثوار جبهة التحرير الوطني الجزائرية في بداية الستينيات، بعد قراره تأسيس جناح عسكري للمؤتمر الوطني الإفريقي. ومنذ ذلك الحين، كانت الجزائر السند الثابت والقوي للمؤتمر، حيث قدمت له أسلحة، وجوازات سفر، ووسائل أخرى ساهمت في تحقيق هذا الانتصار التاريخي على نظام الفصل العنصري. ويعترف نيلسون مانديلا في مذكراته "الدرب الطويل نحو الحرية" باستلهامه قيم الحرية من الثورة الجزائرية، حيث كتب: "الثورة الجزائرية هي النموذج الأقرب لثورتنا، إذ واجه المجاهدون الجزائريون جالية كبيرة من المستعمرين البيض الذين كانوا يحكمون أغلبية السكان الأصليين".²⁵

في عام 1961، زار نيلسون مانديلا وحدات قتالية تابعة لجيش التحرير الجزائري، والتي كانت متمركزة في مدينة وجدة الحدودية مع الجزائر. كانت وجدة بمثابة قاعدة خلفية لجيش التحرير الجزائري، حيث تتولى مهمة تأمين تهريب السلاح إلى الثوار داخل الجزائر. ويذكر الزعيم مانديلا في مذكراته: "لقد كان جيشًا مغوارًا يضم محاربين نالوا رتبهم في المعارك، وكانوا أكثر شغفًا بالقتال والاستراتيجية العسكرية من الزبي العسكري والاستعراضات العسكرية".²⁶

كتب مانديلا: "كنت أعلم أن قواتنا تشبه إلى حد كبير جنود الجزائر، وكنت آمل أن يحاربوا ببسالة مماثلة". وفي عام 1962، توجه مانديلا إلى جبال داخل الجزائر حيث تلقى تدريبات وأشرف على دمج عدد من مقاومي المؤتمر الوطني الإفريقي في معسكرات تدريب إلى جانب مجاهدي جيش التحرير الوطني الجزائري. لقد تأثر مانديلا بالثوار الجزائريين خلال لقاءاته الأولى بهم، وكان لهم دور في تشجيعه على المضي قدمًا في مسيرته النضالية. ويشير مانديلا في مذكراته إلى أن ممثل الحكومة الجزائرية المؤقتة في المغرب، الدكتور شوقي مصطفى، "نصحنا بألا نهمل الجانب السياسي للحرب بالتوازي مع

تنظيم القوات العسكرية، خاصة وأن أهمية الرأي العام الدولي وقوته تفوق أحياناً قوة أسطول من الطائرات الحربية²⁷.

اعتقد مانديلا أن العنف كان ضرورياً لمقاومة نظام الفصل العنصري القمعي الوحشي. وقد سُجن في النهاية بتهمة محاولة الإطاحة بنظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. أُدين مانديلا وسبعة من رفاقه بتهمة التخريب عام 1964. وفي وقت لاحق من ذلك العام، سافر إلى الجزائر للمشاركة في تدريبات مشتركة بين جبهة التحرير الوطني الجزائرية والمؤتمر الوطني الأفريقي²⁸.

كانت الجزائر أول بلد زاره مانديلا بعد إطلاق سراحه من السجن عام 1990. ومثلت هذه الزيارة بادرة عرفان رمزية، أراد من خلالها الاعتراف بالإلهام الذي استمدته من ثورة الشعب الجزائري، والدعم الذي قدموه في مناهضة نظام الفصل العنصري. فقد ألهمت الثورة الجزائرية نيلسون مانديلا، وشبه في سيرته الذاتية "طريق طويل إلى الحرية" موقفهم بموقف المؤتمر الوطني الأفريقي في جنوب أفريقيا. وواجه الثوار في الجزائر حكومة تمثل مجتمعاً أبيض كبيراً كان يهيمن على أغلبية السكان الأصليين من غير البيض²⁹.

3- دلالات رمزية الجزائر في خطاب مانديلا:

نظراً لارتباط نيلسون مانديلا بمشروع التحرر في أفريقيا، وفي بلده جنوب أفريقيا، وحبه الشديد للجزائر، كان كثيراً ما يشير في خطابه وتصريحاته وكتاباتاته إلى أن "الثورة الجزائرية صنعت مني رجلاً"، معبراً عن امتنانه الأبدي للبلد الذي استقبله خلال الفترة الممتدة بين عامي 1961 و1962. وهكذا، كانت العلاقة التي تربط مانديلا، المعروف أيضاً باسم "ماديبا" (1918-2013)، بالجزائر علاقة حميمة ووثيقة. كما حظي نيلسون مانديلا، بمناسبة أول زيارة له إلى الجزائر، باستقبال الأبطال في القاعة البيضاوية، محمد بوضياف، من قبل الأمين العام لجبهة التحرير الوطني، الراحل عبد الحميد مهري، حيث ألقى الرئيس المستقبلي لجنوب أفريقيا، في حقبة ما بعد الأبارتايد، كلمات تنم عن الامتنان

الأبدي للجزائر، قائلاً: "إنني أول جنوب أفريقي تدرب على حمل السلاح في الجزائر، وعندما رجعت إلى بلدي لمواجهة نظام الأبارتايد، شعرت أنني أكثر قوة".³⁰

في خطاب نيلسون مانديلا، اكتسبت الجزائر رمزية خاصة باعتبارها وطنًا ثانيًا ورمزًا للمقاومة والنضال ضد الظلم. فقد قدمت دعمًا ماديًا ومعنويًا لمانديلا وحركة التحرير في جنوب أفريقيا، مما جعلها محطة مهمة في مسيرته.

كانت الجزائر بالنسبة لمانديلا رمزًا للمقاومة والنضال، وملاذًا آمنًا للمناضلين الجنوب أفريقيين الفارين من نظام الفصل العنصري. فقد قدمت لهم التدريب العسكري والمساعدات اللوجستية. وأشار مانديلا في خطابه إلى أن الجزائر وطن ثانٍ له، مما يعكس عمق العلاقة بينه وبين الشعب الجزائري، ويؤكد على أنها رمز للتضامن والوحدة. تجسد الجزائر رمزية التضامن بين الشعوب التي تناضل من أجل الحرية والعدالة، إذ وقفت إلى جانب نضال الشعب الجنوب أفريقي ضد الفصل العنصري، وكانت مصدر إلهام في الكفاح الذي خاضه مانديلا والشعوب المستعمرة ضد الاستعمار. يعتبر مانديلا وحركة التحرير في جنوب أفريقيا الجزائر وشعبها المقاوم مصدر فخر واعتزاز، ورمزًا للصمود والتحدي أمام أعتى القوى الإمبريالية. ولا يتردد مانديلا في خطابه دائمًا عن التعبير عن امتنانه وتقديره لدور الجزائر في دعم حركته، مما يعكس اعترافه العميق بفضل الجزائر عليه وعلى شعبه. ويمكن تلخيص رمزية الجزائر في خطابات مانديلا في النقاط التالية:

- أن الجزائر منارة كفاح في إفريقيا والعالم.
- أن الجزائر مدرسة لنضال الشعوب المضطهدة وقد أعطت الكثير لقادة التحرر في إفريقيا.
- أن تأثير التجربة الجزائرية على تصوره للكفاح في جنوب إفريقيا واضح ومن خلالها ساهم في تحرير بلده من نظام الميز العنصري الجائر وتحقيق الاستقلال الذي حلم به نيلسون مانديلا.

4- فرانتز فانون الثورة الجزائرية والعنف

1- فانون والثورة:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، التحق فانون بجامعة ليون لدراسة الطب النفسي. وبعد تخرجه، عمل طبيباً نفسياً في أحد المستشفيات الفرنسية للأمراض العصبية. سرعان ما تلقى عرضاً للعمل في مستشفى البليدة للأمراض النفسية في الجزائر، فوافق على الفور للعودة إلى الجزائر عام 1953. عمل رئيساً لقسم الطب النفسي في المستشفى، وسرعان ما انخرط في صفوف الثورة الجزائرية. في عام 1956، قدم استقالته إيماناً منه بأنه يستحيل علاج المرض طالما أن السبب ما زال قائماً، حيث كان يرى أن الاستعمار هو السبب الرئيسي في كل المشاكل التي تعانيها الجزائر، وأن المواطنين يعانون من اقتلاعهم من جذورهم. وأوضح أن علاج الجزائر وأفريقيا يكمن في تحرير البلاد تماماً من نير الاستعمار.³¹

انتهى به الأمر إلى الاستقالة من مهنة الطب برسالة انتقد فيها ممارسات الاستعمار و"حقده" على الجزائريين. ومما جاء في رسالته: "أستطيع القول، وقد وُضعت على هذا المفترق، إني وقفت مرعوباً من حجم الاستلاب الذي يعانيه سكان هذا البلد. وإذا كان علم النفس هو الوسيلة الطبية التي تسعى إلى تمكين الإنسان من الشعور بالاندماج في بيئته، فإنه يلزمي أن أؤكد أن العربي المستلب يعيش على الدوام في حالة اقتلاع مطلق لشخصيته في بلاده".³²

بعد ذلك، انخرط بشكل كامل في صفوف الثورة الجزائرية، ففي البداية، أعلن تخليه عن الجنسية الفرنسية التي كان يحملها لصالح جنسيته الأفريقية الجديدة. ثم انضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وعمل خلال فترة انضمامه على رصد أحوال المجتمع الجزائري وكيف أحدثت الثورة الجزائرية تغييرات كمية وكبيرة فيه. كما كانت الثورة تمثل له الميدان المناسب للتخلص من الاستعمار ومواجهته بشكل كامل. بالإضافة إلى ذلك،

أتاح له الانضمام إلى جبهة التحرير فرصة التعرف عن كثب على القارة الأفريقية، حيث كان ضمن الوفد الجزائري المتجه إلى العاصمة الغانية أكرا عام 1958 للمشاركة في أحد المؤتمرات الأفريقية، وهناك التقى بكل من كوامي نكروما وباتريس لومومبا.³³

لقد تركت الثورة الجزائرية بصمة واضحة وعميقة على أعمال فانون أيضاً، حيث أدرك هناك أن حقيقة الضرر الذي يحدثه القمع في المستعمر والمستعمر كلاهما³⁴.

2- حتمية العنف عند فانون:

اعتبر البعضُ فرانز فانون داعيةً للعنف؛ نظراً للدور البارز الذي يشغله العنف في أعماله، والتي يمكن اعتبارها من زاوية معينة بمثابة إعلان مبادئ. لكنه لم يجد العنف، بل رأى أن العنف يصبح استجابة ضرورية لقمع يمارسه المظطهد الذي لا يعترف بآدمية المظطهد. توجد إشارات قليلة لنظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) في كتاب فانون الشهير "معذبو الأرض"، لكنه رأى الوضع في جنوب أفريقيا مثلاً على الكفاح ضد الاستعمار. وقد شغلت أفكاره مساحة مهمة من أعمال المفكر الجنوب أفريقي ستيف بيكو حول "أيديولوجية الوعي الأسود".³⁵

تجدر الإشارة إلى أن الثورة الجزائرية كانت العامل الأساسي في تشكيل وعي فرانز فانون وفكره. فخلال الفترة التي انخرط فيها بالثورة الجزائرية، أنتج العديد من المؤلفات الفكرية، أبرزها "سوسيولوجيا الثورة" وكتاب "معذبو الأرض" الذي يُعد خلاصة أفكاره. هذا على مستوى الإنتاج الفكري. أما على مستوى المضمون، فيمكن للبعض التمييز بين أفكار فانون قبل الثورة الجزائرية وأفكاره بعدها، وذلك بسبب الاختلاف الرئيس في التحدي الذي واجهه في الفترتين. ففي الفترة الأولى، كان التحدي أمامه هو التمييز العنصري الذي عانى منه على يد الجنود الفرنسيين، مما دفعه إلى تبني أفكار حركة الزنوجة وتأييده لفترة من الوقت لأحد مفكريها، وهو إيمي سيزار. بعد الثورة الجزائرية، توصل إلى ضرورة التخلص من الاستعمار أولاً قبل أي شيء حتى يتسنى حل مشكلات الدولة

الأفريقية. ويلاحظ غلبة الاتجاه الراديكالي على أفكار فانون تجاه الاستعمار، حيث نادى بأهمية تصفية الاستعمار تمامًا. ولعل آخر تحدٍ أو تجربة حياتية تعرض لها فانون هي تجربة المرض التي دفعته إلى إيلاء أهمية قصوى للانتهاء من كتاب "معذبو الأرض" ليكون دستورًا شاملاً لمواجهة الاستعمار³⁶.

ولعلنا نورد بعض الشيء من كتابه المميز "معذبو الأرض"، أن الفكرة الأساسية التي يقدمها لنا الكتاب هي أن العنف هو السبيل الأوحى للقضاء على الاستعمار، اذ يقول فانون في هذا الصدد:

"إن محو الاستعمار وهو يستهدف تغيير نظام العالم إنما هو، كما ترون، برنامج لقلب النظم قلبًا مطلقًا. ولكنه لا يمكن أن يكون ثمرة عملية سحرية أو زلزلاً طبعياً أو تفاهماً ودياً؛ أي إنه لا يمكن أن يعقل، ولا يمكن أن قوتين تستمد كل منهما صفتها الخاصة من ذلك التكوين الذي يفرزه الظرف الاستعماري ويغذيه، إن التجابه الأول الذي تم بين هاتين القوتين إنما تم تحت شعار العنف"³⁷.

وفقاً لفانون، يرى المستعمر أن العالم الذي يعيش فيه السكان الأصليون عالمٌ خالٍ من القيم، بل يصفهم بأنهم أعداء القيم، والشر المطلق، وعناصر مُتلفة تحطم كل ما يقابلها، وتشوه كل ما له صلة بالجمال أو الأخلاق. حتى الكنيسة في هذا المحيط تبدو ككنيسة للبيض، كنيسة للأجانب لا تدعو إلى طريق الله، بل إلى طريق السيد المتسلط. لكنه يرى أنه حين يحين كفاح التحرير، يتبدد شعور الشعب بالخوف من بطش الرجل الأبيض، ويخلق في خضم الدماء والدموع مهام واقعية جداً ومباشرة جداً للمجاهدين من الشعب.³⁸

كان فرانز فانون شديد الوضوح في إدانته للمسيحية بوصفها ديانة المستعمر المستبد، بينما لم يكن موقفه بنفس القدر من الوضوح تجاه الإسلام. فهو، من جهة، ثوري علماني، ومن جهة أخرى، قام بتحرير صحيفة "المجاهد" الناطقة باسم جبهة التحرير

الوطني. إضافةً إلى ذلك، حثّ علي شريعتي على استغلال المصادر الفكرية والاجتماعية في الإسلام لتحرير وعي الجماهير، قائلاً له نصّاً أن "ينفخ هذه الروح في جسد الشرق المسلم". كما قال عن أفكاره: "إن الأسلوب الذي ينتهجه الملحد للخلاص والنجاة هو أمر مرفوض في هذا السياق".

ويرى فانون أن تصفية الاستعمار "إنما هي صراع بين قوتين متعارضتين بشكل جوهري، تستمد كل منهما خصائصها المميزة من التكوين الذي يفرزه الظرف الاستعماري ويغذيه". ويضيف: "إن المواجهة الأولى بين هاتين القوتين تتم تحت راية العنف، تمامًا كما أن تعايشهما -أو بالأحرى استغلال المستعمر للمستعمر- يتم تحت وطأة القوة والسلاح".³⁹

يُعدّ الخطاب الثقافي الذي قدمه مثقفو الزنوج بحثًا عن الهوية، خطابًا ما بعد استعماري يهدف إلى زعزعة المفاهيم التي رُوّجت عن المستعمرات فكريًا واقتصاديًا ولغويًا واجتماعيًا، ودعم فهم العالم وإدراكه لحقيقة هذه المستعمرات. لذلك، جهرُوا بأصواتهم ونحتوا نصوصًا ثقافية وفلسفية بلغة قوية وصريحة لم تُصنّف مباشرةً بعد الاستعمار ضمن خطابات الهوية، ولكنها أثبتت ذلك لاحقًا. وقد تم ذلك من خلال دحض الفكرة الراسخة في عمق التفكير الغربي بأن أفريقيا وثقافتها متخلفة، وهو الأمر الذي عرقل تطور هذه النصوص.⁴⁰

لقد ساهمت النظرية ما بعد الاستعمارية في تفكيك الأفكار الشائعة التي تصور الدول المستعمرة كعالم متخلف أو دول نامية، وأكدت على وجود اختلافات جوهريّة. ومن خلال الخطاب الذي يتناول قضايا ثقافية، سلطت الضوء على سياسات السيطرة والقمع الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي خضعت لها المستعمرات، والتي أعاقَت نموها وتفاعلها مع الدول والثقافات الأخرى.⁴¹

5- مانديلا وفانون التشابه والاختلاف:

يُعدّ فرانز فانون ونيلسون مانديلا شخصيتين بارزتين في تاريخ النضال ضد الاستعمار والعنصرية، وقد أسهم كل منهما بشكل فريد فكريًا وعمليًا. يمكن مقارنتهما من حيث الخلفية والأهداف والأساليب والتأثير، مع الأخذ في الاعتبار أن فانون كان مفكرًا وفيلسوفًا، بينما كان مانديلا ناشطًا سياسيًا وزعيمًا ثوريًا.

- كلاهما كانا مناهضين للاستعمار والعنصرية، وكرّسا حياتهما لتحقيق الاستقلال والحرية لشعوبهما. وأدرك كلاهما أهمية العنف كأداة للتغيير، وإن اختلفا في وجهات النظر حول استخدامه على المدى الطويل.

- نظر فانون إلى العنف كأداة لتحرير المستعمرين من قيود الاستعمار، بينما استخدم مانديلا العنف في البداية كجزء من كفاحه ضد نظام الفصل العنصري، ثم تبنى لاحقًا استراتيجية المصالحة والسلام.

- أفكار فانون حول الاستعمار والعنف كان لها تأثير كبير على حركات التحرر في جميع أنحاء العالم، بينما قاد مانديلا حركة التحرر في جنوب أفريقيا وترك إرثًا ملهمًا للأجيال القادمة.

- يكمن الاختلاف بينهما في أن فانون كان مفكرًا وفيلسوفًا، طور نظريات حول الاستعمار والعنف، بينما كان مانديلا ناشطًا سياسيًا وقائدًا ميدانيًا. فيما يتعلق باستراتيجية العنف، رأى فانون العنف كأداة ضرورية وحاسمة لتحرير المستعمرين، في حين تبنى مانديلا استراتيجية المصالحة والسلام بعد فترة طويلة من النضال المسلح. فعلى الرغم من اتخاذه السلاح وسيلةً للتحرر من نظام الفصل العنصري، أدرك أهمية المصالحة والسلام بعد السجن، وكرس جهوده لتحقيق مجتمع متساوٍ وموحد.

-ركز فانون على الجوانب النفسية والاجتماعية للاستعمار، بينما ركز مانديلا على الجوانب السياسية والاقتصادية.

- كلاهما ترك أثرا واضحا في مسار نضال الشعوب نحو التحرر فقد ترك فرانز فانون تأثيرا عميقا على حركات التحرر في جميع أنحاء العالم، خاصة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية. بينما قاد نيلسون مانديلا بلاده نحو الديمقراطية والمصالحة، وترك إرثا ملهما في مجال حقوق الإنسان والسلام.

في الختام، يمكن القول إن الرجلين والرمزين يمثلان وجهين لعملة واحدة في مكافحة الاستعمار والاستبداد والعنصرية. لقد كانت الجزائر حاضنة لنشاطهما، وشكلت القاعدة الأساسية في مشروع التحرر الذي قاداه. ومع ذلك، اختلفا في المنهج والأسلوب المتبع في قيادة هذا المشروع التحريري المناهض للاستعمار، حيث يمثل فانون الجانب الفكري والنظري، بينما يمثل مانديلا الجانب العملي والقيادي. والجدير بالذكر أن الجزائر كانت حاضرة بقوة في فكرهما وخطابتهما.

خاتمة

وأخيرا، بكل فخر واعتزاز، نقتبس ما قاله أليكاز كارال، زعيم الحزب الإفريقي لتحرير غينيا وجزر الرأس الأخضر، عندما سُئل عن معنى عبارته الشهيرة "الجزائر مكة الثوار".

"المسلمون يحجون إلى مكة، والمسيحيون إلى الفاتيكان، والحركات التحررية إلى الجزائر. وفي ظل الظروف الدولية الراهنة التي تسعى لإبقاء إفريقيا تحت وطأة التخلف والتبعية، يمكن تعديل تلك العبارة لتصبح: "الجزائر حصن الأحرار".⁴²

وقد أكد قادة الجزائر هذا التوجه، ومن بينهم وزير الشؤون الخارجية والجلالية الوطنية بالخارج آنذاك، السيد رمطان لعمامرة، قائلاً: "ستكون الجزائر البلد المحوري الذي سيتحرك كما فعل في السابق لتصدير السلام والاستقرار والأمن عبر القارة الإفريقية، بدءاً بمنطقة الساحل الصحراوي ووصولاً إلى بؤر التوتر في جميع أرجاء القارة".⁴³

لم تدخر الجزائر جهداً في دعم حركات التحرر في مختلف بلدان العالم، وخاصة الأفريقية منها، حيث قدمت لها الدعم المادي والمعنوي، مما ساهم في تعزيز قدرتها على مواجهة الاستعمار. ويُعد دعمها المتواصل لحركات التحرر وقادتها جزءاً هاماً من تاريخها النضالي ضد القوى الاستعمارية والإمبريالية، ويعكس التزامها الدائم بمبادئ التحرر والعدالة الاجتماعية، والقيم الإنسانية النبيلة التي يحث عليها ديننا الحنيف.

الهوامش:

¹ - صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر، الجزائر، 2005، ص 433.

² - Benjamin Stora, La guerre d'Algérie expliquée à tous, Le Seuil, 2012

³ - عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي للجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1984، ص 121.

⁴ - حول دلالة ومفهوم مصطلح الانديجان ينظر، السباعي سيدي عبد القادر: "الجزائريون من أهالي إلى "أنديجان"، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد الثاني، جانفي، 2015، ص ص 257-268.

⁵ - Bruschi Christian, La Nationalité dans Le Droit colonial, Procès, Cahiers d'analyse politique et juridique N° 18, 1987/88, P.47.

⁶ - Rouard de Card Edgard, Étude sur la naturalisation en Algérie, Paris, BergerLevrault Cie, Libraires-Éditeurs, 1881, 26 pages. P.9

⁷ - Laure Blévis , Les avatars de la citoyenneté en Algérie coloniale ou les paradoxes d'une catégorisation, Droit et Société 48-2001, PP. 557-580

⁸ - حوحو رمزي و سبع عادل ، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر 1870- 1900 ، في مجلة الفكر، المجلد/18 العدد: 02 / 2023، ص 106.

⁹ - فضيلة علاوي، دور الجزائر وليبيا في حركة التحرر الإفريقي 1954-1974، في مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 12، ص 62.

¹⁰ - عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1996، ص 107.

¹¹ - محمد أحمد الطوير، تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث، ط1، الرباط، 1998، ص 08.

¹² - محمد السعيد الدقاق، القانون الدولي المعاصر، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، 1997، ص 57.

¹³-TH. bwttner, leibzig: colonialism neo- colonialism and the imperialist struggle in Africa maxis studies on the berlin conference 1884-1885 special 13 edited by teamster and dans – ulrick water (Asia – Africa- Latin America). Akademie Verlyn berlin. 1984. p106.

¹⁴ - أحمد بوزيد ، "الحركة النقابية والتحرر الأفريقي" ، مجلة السياسة الدولية العدد 04 ، أبريل ، ماي ، جوان 1966م ، السنة ، مؤسسة الأهرام ، مصر ، ص ص 74-76.

¹⁵ - بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 ، ج1 ، دار المعرفة 2006 ، ص 354.

¹⁶ - نجوى عبد المنعم أحمد مرسي : سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه حركات التحرر الوطني غرب أفريقيا 1945-1960 ، ص 922.

¹⁷ - نفسه ، ص 923.

¹⁸ - محمد لطفي كينة ، منظمة الأمم المتحدة في ظل تحولات النظام الدولي: الإنجازات والمعوقات ، في مجلة العلوم القانونية والسياسية ، المجلد 10 ، العدد 02 ، 2019 ، ص 490.

¹⁹ - نفسه.

²⁰ - مهملي بن علي ، الخطاب السياسي وآليات تفعيل المشاركة السياسية في الجزائر ، في مجلة العلوم القانونية والسياسية عدد 13 - جوان 2016 ، ص 87.

²¹ - نفسه.

²² - قاسم حسين صالح ، نيلسون مانديلا ليس سهلا الطريق الى الحرية ، قراءة وتحليل ومقاربة ، ط1 ، ترجمة ميرنا الرشيد ، دار المدي ، 2019 ، ص 2.

²³ - نفسه.

²⁴ - محمد عبد المجيد حسين ، نيلسون مانديلا حياته وأفكاره ، المركز الديمقراطي العربي . 20 أبريل 2019 ، ص 3.

²⁵ - <https://www.alarabiya.net/north-africa/algeria/2013/12/06> تاريخ التصفح : 2025-08-13

²⁶ - نفسه.

²⁷ - نفسه.

²⁸ - <https://www.aljazeera.net/history/2018/12/23> تاريخ التصفح : 2025-08-12

²⁹ - نفسه.

³⁰ - <https://www.aps.dz/ar/algerie/129326-2022-07-17-17-08-08> تاريخ التصفح : 2025-08-14

³¹ - <https://democraticac.de/?p=51063> تاريخ التصفح : 2025-08-14.

32 - <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2022/11/21/> تاريخ التصفح 14-08-2025.

33 - نفسه.

34 - <https://www.aljazeera.net/history/2018/12/23/> تاريخ التصفح : 13-08-2025.

35 - نفسه.

36 - <https://democraticac.de/?p=51063> - تاريخ التصفح 14-08-2025.

37 - <https://www.wattan.net/ar/news/140277.html> تاريخ التصفح 15-08-2025.

38 - نفسه.

39 - الصادق محمد آدم، قضايا الأدب الإفريقي وتحدياته : قضية الزنوجة.

40 - ماط مهدي وبوزياني خولة، تشكل الهوية وتحولات الوعي في أدب الزنوجة، في مجلة محاورات في الأدب والنقد، المجلد الثاني العدد الثاني مارس 2022، ص 9.

41 - نفسه.

42 - وحيد سيف الدين، من "مكة الثّوار" إلى "حصن الأحرار". الدبلوماسية الجزائرية تُجَدِّدُ الأملَ الإفريقي:

<https://elayem.news/88882.html> تاريخ التصفح: 15-08-2025

43 - نفسه.